الارمن، وأسروه مع باسيل بن سمباط الملقب بتتار، وذلك بالاضافة الى رجل اسمه سيلارت Cilart ، وآخر اسمه أتوم Atom.

٨٢— أعمال النهب المصرية لكليكية

وبعد ما تم أسرهم، جرى نقلهم إلى سيس، حيث أودعوا السجن في أحد المعابد، وبعد مضي عدة أيام استباح المسلمون المدينة، ونهبوها وسلبوهاوخربوها، وأضرموا النيران في كل مرفق ومكان فيها، وعمت الحرائق وانتشرت في أرجاء المدينة، وكان هناك عدد لايمكن تعداده من القتلى والأسرى.

وبعد هذا هاجم المسلمون المناطق الحصينة بحثاً عن المدافعين المتبقين، ورفض هؤلاء الاستسلام، وعندما أدرك المسلمون أن الحاق الضرر بالحصن الأعلى بات مستحيلاً، توجهوا نحو السهول والمناطق الجبلية المشجرة ، فأحرقوها بعدما نهبوا موجوداتها، وجرى تجميع عدد كبير من الناس في مكان اسمه كيما Kema ، وفي مكان آخر اسمه بكنكار Beknkar ، وكان هؤلاء من النساء والأطفال، وقد تم الهجوم عليهم على مرأى الجميع من بني جنسهم، وقد حاول هؤلاء المقاومة، وذلك على الرغم من عجزهم، لكن المسلمون أشهروا سيوفهم، وشرعوا على الفور في تقتيلهم، وكان عدد القتلى كبيراً جداً، ويقال بأنه بلغ عشرين ألفاً في هذا المكان، وبعد هذا حمل المسلمون الأسرى الأحياء معهم، وانطلقوا عائدين عبر طريق غير الذي دخلوا منه، وراحوا إلى باب أنطاكية، حاملين معهم كل ما وقع في أيديهم، وقد باعوا شطراً من منهوباتهم وغنائمهم في أنطاكية.

٨٣— اعتقال الأمراء الأسرى في مصر

أخذ المسلمون، إثر ذلك، طريق العودة إلى مصر، حاملين معهم البارون ليون لتقديمه هدية الى السلطان، ولدى مشاهدة السلطان بارون

الأرمن وباسيل، عدهما أثمن من الذهب ومن الفضة، وحملهما إلى القاهرة، وأسكنهما ومن معهما في نزل صغير، وخصص لهما حرساً وخدماً، وغمرهما بالتشريف والاحترام.

٨٤— بيبرس يبذل جهده في سبيل فداء سنقر الأشقر

وما أن سمع هيتوم بخبر ما حدث، حتى غرق في أحزانه، وتأثر قلبه، ولم يعد يعرف ما الذي عساه أن يفعله، ومع هذا وجد الملك خلال أيام الوسيلة الموائمة لتحرير ابنه، فأرسل رسلاً إلى السلطان للوساطة في هذا الشأن، والسؤال عن إمكانية تسليمه ابنه، مقابل أي طلب يطلبه السلطان، هذا ولم يكن السلطان على عجلة من أمره، ولم يرغب في اعطاء الحلول بسرعة، ومع ذلك لم يقطع حبل الحوار مع الملك، ولم ينقطع الملك من جانبه عن ارسال الهدايا.

وأضمر السلطان بيبرس في قرارة نفسه فكرة سرية، مفادها أنه كان له صديق حميم ومخلص، وكانا معا في قوات سلطان حلب عندما هاجمها هولاكو، ولدى هروب من نجا من المذبحة منها، وكان بيبرس الذي أصبح سلطانا قد لجأ الى الفرار هو وصديقه معا، غير أن صديقه الذي امتاز بشهامة نادرة، آثر انقاذ بيبرس، وفضله على نفسه، فأعطاه حصانا جيداً، وأمن له سبل النجاه، في حين توقف هو في مكانه حتى أخذه هولاكو أسيراً، وحمله إلى الشرق.

وبعد هذا نجح بيبرس من جهته بالوصول الى سدة السلطنة في مصر، وعندما وقع ليون أسيراً بين يديه، تذكر أن الملك هيتوم كان بمثابة المستشار الأكثر صداقة مع الخان أبغا، فبعث إليه ليبحث له ويسأل عما إذا كان «خشداشه» مازال حياً، وقال لرسل الملك هيتوم: «قولوا للملك إنه إذا استطاع أن يطلق سراح خشداشي من بين أيدي شعب الرماة، وأن يعيده إليّ، فإنني بالمقابل سوف أطلق سراح ابنه

ليـــون»، وعندمـــا بلغ هذا العـــرض إلى الملك، بـدأ في تحضير هداياه، واستعد للسفر إلى الشرق لملاقاة الخان أبغا.

٨٥— سفارات أرمنية لدى الخان

وبناء عليـــه حـدث في سنة ٧١٦ (١٤ كـانـون الثـاني ١٢٦٧— ١٣ كـانون الثـاني ١٢٦٨) أن ذهب الملـك هيتـوم إلى حضرة أبغـا خـان في الشرق، والتمس منه الافراج عن خشـداش السلطان بيبرس، الذي كان اسمه الحقيقي سنقر الأشقر، ورد عليه الخان بقوله: «إذا وجدته فسوف أعطيكه هدية»، فـانطلق الملك يبحـث عنه في كل مكان، وفتش في جميع الأرجاء عـن سنقر الأشقر، فلم يعثـر عليه، وأصـابه اليأس والارهاق، فقـــرر العـودة إلى بلاده، ثـم بعث إلى السلطان بيبرس يخبره باستحـــالة العثور على سنقـر، وكان جواب السلطـان: «إذا لم يجلب سنقر لي، فإنني لن أحرر ابنه».

وفي عام ٧١٧ (١٤ كانون الثاني ١٢٦٨— ١٢ كانون الثاني ١٢٦٩) قام الملك هيتوم، بعد تدارس القضيـة مع أخوته، بايفاد الأمير ليون بن سبارابتSparapet إلى أبغـا خان، ليطلب منه السماح له بالتجـول في المعسكرات، وداخل المحـلات السكنيـة البعيـدة للبحث عن سنقـر، وقـد سمح الخان له بذلك، وأمـــر بفـرز مجمـوعـة من الجنود لمرافقتـه، واستطاع ليون ورجاله أن يعثر على سنقر، وقد حملوه وأحاطوه بالعناية، وقدموا الشكر للخان، ثم عـادوا به الى كليكية، وعند وصوله إلى سيس بعث إلى السلطان بيبرس يخبره بتحقيق طلبه.

٨٦— احتلال بيبرس أنطاكية

حشـد السلطان بيبرس قـــواته كلهـا، وهاجم مـدينـة طرابلس بكل عنف، وألحق بها أضراراً بليغة وكثيرة، ثـم قاد جيشه بشكل مفـاجىء، وسـار به خمســة أيام بدون توقف في أثناء الليل وخـــلال النهـار، حتى

انقض على مدينة أنطاكية المشهورة، وسيطر عليها خلال ثلاثة أيام، وكان فتحه لها يوم السبت السادس من أيار، وما من أحد يمكنه تقدير المذبحة التي ارتكبت في أنطاكية ولا عدد الأسرى، ولاحجم الثروات التي حملها المصريون إلى بلادهم، ولقد كان— والحق يقال— من بين القتلى أعداد كبيرة من أصول أرمنية، هذا وأمر السلطان بإعادة الناس الذين كانوا قدموا من كليكية إلى بلادهم، وسمح لهم بالمغادرة، كما سمح لأمير أنطاكية ولأسرته بالمغادرة دونما قيود إلى أنطاكية، وجدير بالذكر أن هناك من يقول بأن هذه المدينة قد وقعت في أيدي السلطان بسبب هذا الأمير، والله وحده الذي يعلم الحقيقة.

٨٧— *مبادلة الأمير ليون بسنقر الأشقر*

وعندما قرر السلطان العودة إلى مصر عبر أنطاكية، طلب من الملك هيتوم ارسال رهينة له لمبادلتها بابنه ليون، من أجل أن يقوم بتحرير هذا الأمير، مقابل سنقر الأشقر خشداش السلطان، وبعث الملك أوشين ابن أخته، وريموند زميل أوشين، وفاساك Vasak صاحب كنكي Can-ci، وكان ابنا لكوستاندين والد الملك، وفور وصول هؤلاء إلى السلطان، أفرج عن ليون بارون الأرمن، وعاد ليون إثر ذلك إلى كليكية محملاً بكثير من الهدايا، وجرى استقبال ليون من الشعب الأرمني بالفرح الكبير والابتهاج، وبعد مدة وجيزة حمل ليون سنقر الأشقر إلى حضرة السلطان، الذي فرح به كثيرا، وعظم سروره لدى رؤيته صديقه الحميم، وأعطى الأمير ليون إلى ابن سمباط الكثير من الهدايا الثمينة، وجرى استرداد الرهائن والعودة إلى كليكية.

٨٨— *تنصيب يعقوب الأول بطريركاً*

وعقد الملك هيتوم في العام ذاته اجتماعاً كبيرا ضم الأساقفة، والحكماء والأعيان الذين قدموا من الشرق إلى كليكية، وكان الاجتماع

في مـدينة المصيصـة، وقد أصـدر أوامـره بضرورة اختيـار الرجل الموائم ليرأس الصرح البطريركـي، ووقع اختيـار الملك على الحكيم يعقـوب، ووافق على ذلك مجلس الأسـاقفـة، وبنـاء عليـه جـرى تعيينه بطريركـاً، وكرس جـاثليقاً للأرمن باسم القديس سرجيوس، وكـان ذلك في الثاني عشر من شباط.

وقد حصل هـذا التنصيب عندما كان ليـون بارون الأرمن أسيراً عند المصريين، وقـد تحرر فيما بعد، كما ذكـرنا من قبل في شهـر حـزيران من السنة نفسها.

٨٩— *زلزال عام ١٢٦٩*

في عام ٧١٨ (١٣ كـانون الثاني ١٢٦٩— ١٢ كـانون الثاني ١٢٧٠) تعـرضت كليكيـة إلى زلزال عنيف دمـر العديـد من القرى، خـاصـة في سفح الجبل الاســود، كما حـول الكثير من المنـاطق الحصينة إلى أطلال، وجرى تدمير حصن سافانديكار Savandikar ، حيث قتل السكان جميعـاً، وفي دير أركأكلين مـات الكهنة والرهبـان تحت أنقاض الأبنيـة، ودمـرت الكـارثة في المنطقـة الجبليـة عـدداً كبيراً من القــرى، وقلبت الأماكن عاليها سافلها، كما دمرت مناطق أخرى من بينها حصن دلنكار Delnkar .

٩٠— *وفاة هيتوم الأول وابني القائد سمباط*

وتوجـه في السنة نفسها ليـون، بارون الأرمن، إلى الشرق، للقاء أبغـا خـان، الذي استقبله بكل احترام وتقـدير، وحمله الكثير من الهدايا لدى عودته إلى كليكية، وفي السنة نفسها، في ١٥ تموز توفي هيتوم ابن الوكيل الملكي للارمن، ودفن في دير القـديس مليك Mlic ، وفي ٢٩ إيلول من العام ذاته التحق باسيل ابـن القائد سمبـاط بالمسيح في طرسوس، ودفن في دير القــديس مليك، وفي يوم الثــلاثاء ٢٩ تشرين الأول من العــام

نفسه، وعند غروب الشمس غادر هيتوم ملك الأرمن هذا العالم، والتحق بأجداده، وذلك عندما وافاه الأجل في برجربيرد، في قرية أكنير، ثم جرى نقل جثمانه إلى الدير المقدس في درازارك، ودفن في كنيسة القديس البطريرك غريغور، وكان أثناء وفاته قد اعترف بأنه أرثوذكسي، وانتسب إلى الدين القويم باسم ماكير Macaire

٩١— *استلام ليون الثالث للعرش*

في عام ٧٢٠ (١٣ كانون الثاني ١٢٧١— ١٢ كانون الثاني ١٢٧٢) تمّ بتاريخ ٦ كانون الثاني تنصيب ليون الثالث ابن الملك هيتوم ملكاً على الارمن، وقد جرى ذلك في مدينة طرسوس، في كنيسة سانتا— صوفيا. وكان ذلك وسط حفل بهيج، حضره ممثلو جميع الأمم المسيحية، ذلك أنهم أصروا على المشاركة في هذه الأفراح التي تستحق الحضور والمشاهدة، وقد حظيت هذه الاحتفالات بحضور عدد كبير من الاشراف، وشهدت المناسبة الافراج عن عدد كبير من السجناء، كما جرى تحرير العديد من قيودهم.

وبعد مضي أيام قليلة حيث انصرفت الجموع بعد انقضاء الاحتفالات، وذهب كل واحد إلى بلاده، توجه الملك ليون بزيارة شخصية إلى ايزورا، من أجل تفقد المنطقة، ثم عاد إلى اقليمه بكل سرور.

٩٢— *تهديد جديد بحملة مصرية:*

تحرك في السنة نفسها سلطان مصر، بيبرس البندقداري من جديد للهجوم على كليكية، غير أن الملك ليون أوفد إليه بعثة بمهمة خاصة، جعلته يعود إلى بلاده مصر.

هذا وقرر الملك ليون من جانبه التوجه إلى الشرق لزيارة أبغا خان الذي استقبله واعتنى به، وقدم له هدية تمثلت بعشرين ألف رجل

ليأخذهم معه إلى بلاده من أجل تعزيز الدفاع عنها، على أن يقوم الخان بزيارة بلاد كليكية بعد بضعة أشهر، هذا ولم يصطحب الملك ليون معه سوى عدد قليل من الرجال، ثم عاد إلى بلاده.

وقدم في العام ذاته ملك من ملوك الفرنجة اسمه ادوارد، على متن سفينة، ونزل في عكا، ومعه ألفي رجل، وقد توقف في المدينة منتظرا وصول ملوك آخرين مع أتباعهم.

وفي العام نفسه، في شهر تشرين الاول منه، ولد للملك ليون طفل ذكر، وكان ذلك في مدينة سيس، حيث عمت الأفراح جميع الأقاليم الخاضعة لسيطرته.

٩٣— *أحداث مختلفة*

في عام ٧٢١ (١٣ كانون الثاني ١٢٧٢— ١١ كانون الثاني ١٢٧٣) جرى في اليوم الذي ولد فيه سيدنا ومولانا سقوط ثلج عظيم، وفي يوم كانون الثاني تساقط الثلج فوق العاصمة سيس، ثم غطى بلاد كليكلية كلها حتى شواطىء البحر.

وتوفي في العام نفسه، والشهر ذاته الحكيم القديس كيراكوس Ki-rakos، والتحق بالمسيح، وحزن الناس والأعيان عليه.

٩٤— *مؤامرة ضد ليون الثالث*

وحدث في السنة نفسها، أن كانت امرأة خليلة للملك هيتوم اسمها مريم، وكانت منحدرة من أصل مسلم، وقد تآمرت مع بعض الناس لاغتيال الملك ليون، بوساطة دس السم القاتل له، وانتظر المتآمرون المناسبة الموائمة لتنفيذ العملية، لكن قدرة الرب تدخلت، وسببت كشف المؤامرة والتحضيرات الاجرامية للمرأة، وكان ذلك عن طريق صبي في الحادية عشرة من عمره، وهكذا نجا الملك من الموت، ومن

آثار هذه المؤامرة، ولم يقم الملك بمعاقبة هذه المرأة ولا المتواطئين معها بالعقاب الذي استحقونه، واكتفى بأن يكون سمحاً ورحيماً.

وأمر الملك ليون في العام نفسه ببناء حصن عظيم في لحف جبل طوروس مقابل قبرالقائد المقدام أندريه، وعلى مسافة مسير نصف يوم، وذلك من أجل ضمان الدفاع عن هذا المعلم، ولحراسة الطريق الشهيرة Xozjorوقد نجز بناء الحصن في العام نفسه، وأطلق عليه اسم حصن كتاريك Katreac .

وجرى في العام نفسه تعميد ابن الملك في العاصمة سيس، وكان ذلك على يد البطريرك السرياني أغناطيوس، وأغناطيوس هذا هو الذي تلقى الطفل لدى خروجه من طقوس التعميد، واختار له اسم طوروس، مثل عمه الذي كان قد قتل على أيدي المصريين في إحدى المعارك.

٩٥— *محاولة اغتيال ادوارد الأول*

عبر في العام نفسه واحد من عبيد الملك ادوارد البحر، ووصل الى عكا، وقد تمكن من التسلل إلى محيط الملك، وكان ذلك في أحد الأيام حيث جلس الملك بمفرده، مرتديا سترة ناعمة، وكان ذلك بعدما أمر بانصراف خدمة من حوله، وهنا اقترب هذا العبد من الملك، وتوجه نحو أذن الملك، وأوهمه أنه يريد أن يهمس في أذنه سراً من الاسرار، وسحب في تلك الأثناء خنجره، ثم وجه ضربة أولى إلى صدر الملك، وحاول الملك أن يمد يده اليمنى الى سيفه، فعاجله العبد بطعنة ثانية، وضربه مجدداً بسلاحه..

حواشي التاريخ المعزو إلى القائد سمباط الأرمني

١ــ قلعة بابيروان، يعتقد أنها قلعة كاندير Candir ، وتبعد نحو عشرة كيلو مترات عن لامبرون في الجنوب الغربي منها.

٢ــ اسم قلعة لامبرون بالتركية نامرون، على بعد ٤٠ كم من طرسوس إلى الشمال الغربي منها.

٣ــ المعروف عن هذه القلعة أنها كانت موجودة في كليكية الغربية،

٤ــ على مقربة من عين زربة.

٥ــ وقع هذا الدير على الضفة اليمنى لنهر الفرات إلى الجنوب من كيسوم.

٦ــ اسمها الحالي جيبين Geben، وقد قامت على نهر جيحان وعلى بعد ٤٠ كم عن مرعش.

٧ــ هي قلعة سافوران الحالية، وكانت واقعة كما يدل اسمها ــ «صخرة ساراوند» ــ على أبواب الأمانوس، على بعد حوالي ١٥كم إلى الغرب من حصن بيلي Hasanbeyli .

٨ــ وقعت هذه القلعة خلف بلدة بياس، على الطرف الشرقي لخليج اسكندرونة.

٩ــ معلومات سمباط عن صلاح الدين وتاريخ الدولة الأيوبية ضعيفة ولايمكن الأخذ بها.

١٠ــ خلط المصنف ما بين أرناط، وريموند الثالث صاحب طرابلس.

١١ــ كان الداهكان الأحمر يعادل ديناراً ذهبياً عربياً واحداً.

١٢— قلعة وقعت إلى الغرب من سلوقية، على مسافة ٣٠ كم منها.

١٣— نهرصو هو النهر الأسود، وشكل الحد الذي فصل بين الممتلكات الأيوبية ودولة كليكية، هذا وتعلق الأمر هنا بالملك الظاهر غازي صاحب حلب.

١٤— كان هذا هو الدير الأكثر شهرة في كليكية، ووقع غير بعيد عن سيس في سفح جبل طوروس، وذلك قرب حصن كوبيتار Koplar الحصين، وكان هذا الدير قد بني— أو رمم— في بداية القرن الثاني عشر من قبل طوروس الأول، وقد شغل دور المقر البطركي، والملكي أيضاً، وقد دفن فيه عدد من رجال الدين والسلطة، هذا وتقرر أن حصن كوبيتار قد وقع إلى الشمال الغربي من سيس، وعلى مسافة ١٥كم منها.

١٥— كان دير أركأكلين موجوداً في ضواحي سيس، على الجبل المواجه لها.

١٦— كان دير أريغ يوجد— كما هو محتمل — على مقربة من كابان، في أعالي وادي جيحان.

١٧— كان دير سكيورا موجود أعلى بعد عدة كيلومترات في الجنوبي الشرقي من لامبرون وقد استخدم مدفناً للأعيان.

١٨— كان دير مليك مدفناً للعديد من أعيان الأرمن، وكان على مقربة من قلعة بابيروان بالقرب من طرسوس.

١٩— كانت قلعة سيمانيكي على مقربة من عين زربة.

٢٠— وقعت قلعة كوتاف في وسط وادي جيحان.

٢١— كنك هي كوكور حصار Cukurhisar على مقربة من زيتون.

٢٢— على مقربة من زيتون، وإلى الغرب منها، واسمها الحالي فيرنيس Fir-nis .

٢٣— هي كانكي Canci إلى الغرب من كنك.

٢٤— وقعت قلعة سولاكان إلى الغرب من كابان.

٢٥— قلعة وقعت في وسط وادي جيحون

٢٦— على بعد ٢٠ كم إلى الجنوب الغربي من عين زربة.

٢٧— قلعة قامت على بعد ١٠ كم إلى الجنوب من المصيصة.

٢٨— قلعة قامت إلى الغرب من سيحان، على بعد أميال من كوربيتار، وإلى الشمال الغربي منها.

٢٩— قلعة مولوفونهي بالفعل قلعة ميلفان Milvan ، قريبة من سيحان، وعلى بعد ١٥كم إلى الشمال الغربي من جولك بوغازي Gulek Bogazi .

٣٠— كوكلاك هي قلعة جولك عند مداخل كليكية وكبدوكية، على بعد أميال من لامبرون، وإلى الشمال الشرقي منها.

٣١— وقعت قلعة سيويل على بعد ٨٠ كم إلى الغرب من سلوقية التي كانت حاضرة كليكية.

٣٢— وقعت مانياون إلى الجنوب الغربي من قرمان.

٣٣— قلعتان قريبتان من بعضهما، ووقعت ألار إلى الغرب من مرسين.

٣٤— كانت ألبستان قلعة تقع عند ينابيع نهر جيحان.

٣٥— أخطأ المصنف باشارته إلى حضور العادل، ذلك أن العادل كان متوفى، وكان سلطان مصر آنذاك الكامل بن العادل، ومرت بنا من قبل أخبار الحملة الصليبية الخامسة بكل تفاصيلها.

٣٦ — خطأ صوابه نهر الدجلة.